مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥:١-٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرَ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه ان يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ

الصليب علامة الخلاص

ها نحن نبلغ منتصف الصوم ليبدأ المناخ الليتورجي لزمن الصوم بالتغيّر، إذ إن الكنيسة في هذا الأحد المبارك تدعونا لتكريم الصليب والسجود له لأنه بالصليب نبدأ استشراف ملامح الخلاص الذي تحقق بالقيامة.

قبل الحديث عن التغيّر سنلقي الضوء على بعض المعاني الأساسية للصليب.

في المفهوم الشعبي القديم الصليب عار لأنه قصاص المجرمين والخطأة. وفي المفهوم الشعبي المعاصر الصليب يعني الهمّ أو الوجع أو المصيبة، فنقول عن إنسان حلت به مصيبة: «صليبه كبير» وإشفاقاً على حاله نقول «أعانه الله على هذا الصليب» أي أعانه الله على مواجهة هذا المصير البائس.

إلا أن بولس الرسول يقول: «إنَّ كلمةَ الصليبِ عند الهالكينَ جهالةٌ وأمَّا عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوَّةُ اللهِ» (١ كور ١: ١٨) وأيضاً: «وأمَّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالمِ» (غلا ٦: ١٤). فكيف يقلب بولس الرسول المفهوم العام ليعطيه مدلولاً مغايراً؟ إن الصليب كخشبة، لا قيمة له. قيمة الصليب تكمن في أن الله الذي عُلّق عليه فجعله علامة للخلاص. الصليب فخر المخلّصين وزمن الخلاص هو المناخ الجديد الذي نستشرفه اليوم. بعد العبور في جوّ العهد القديم وطرد آدم من الفردوس، بدأنا نستشرف زمن الخلاص ولكن من دون الدخول إليه بعد.

قلنا إن قيمة الصليب جاءت من الله – الإبن الذي عُلّق عليه. وقولنا إن الله هو من عُلق عليه ليس فقط للتأكيد على ألوهة المسيح بل لنذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. في سَحَر الأحد الثالث من الصوم نقول: «إنني أعبد إلهاً واحداً بثلاثة أقانيم غير منقسم بصورة الجوهر: الآب والإبن والروح الأزلي الذي به اعتمدنا». بالطبع ليس القصد القول إن الآب والروح عُلّقا مع الإبن على الصليب ولكن التكرار الملفت يشير إلى أن الثالوث الإلهي بأقانيمه الثلاثة تألم من أجل خلاص البشر. لقد تألّم الخالق من أجل خلاص المخلوق. تألم الخالق ليزيل آلام الموت. دخل

العدد ١٠/ ٢٠١٠
الأحد ٧ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد الصليب الكريم المحيي)
تذكار القديسين الشهداء في الكهنة باسيليفس وأفرام وأفجانيوس وكبيتُن وأثيريوس وأغثودورس وألبيديوس
أساقفة شرصونة
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

كـمـا دَعـا هـرون* كـذلكَ المسيـحُ لـم يُـمـجّدْ نـفسَهُ لـيصيـرَ رئيسَ كـهـنـةٍ بَـلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنـتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رِتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قـال الـربُّ مـن أراد أن يـتـبَـعَـنـي فـليكفُرْ بـنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَـن أراد أن يـخـلِّـصَ نـفسَهُ يُـهـلكُها ومَن أهلك نـفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنـجـيل يخلّصُـهـا* فـإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم مـاذا يُـعـطـي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابـنُ الـبشـر مـتـى أتـى فـي مـجـدِ أبـيـهِ مـع الـمـلائـكـةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقـول لـكـم إنَّ قـومًـا مـن القـائـمـين هـهـنا لا يذوقون الـمـوت حـتَّـى يَـرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

الخالق في صيرورة الألم والموت، بصورة سريّة، عجيبة وغير مدركة بـالـعقل، لـيـنـتـزع الخليقة من الألم والحزن والموت. بآلام الله – الإبن وموته على الصليب صارت للخليقة حـيـاة جـديـدة. هـذه هـي الـعـلامـة الأولى لتبدّل المناخ الليتورجي.

أما العلامة الثانية في طقس هذا الأحد، فـهـي أن الـلـه المتـجسد قَبِلَ الصلب طوعاً من أجلنا. هذا الذي لا يحتويه مكان ولا يستطيع أحد أن يراه، لبس جسداً وصار مشابهاً لنا في مـا عدا الخطيئة. الـلـه المتـجسد دخل ترابيتنا ليصبغ بنور ألوهيته تراب بشريتنا. عملياً هذا يعني أن خلاصنا حصل بفعل تـنـازل إلـهي عندما أخذ الله طبيعتنا المادية. بـواسـطـة هـذا الخلاص الماديّ خـلصت أجسـادنـا ولم يـقـتـصـر الخلاص على نفوسنا، لأن الفعل الإلـهـي الخلاصي لم يـكـن فـعـلاً روحياً فقط بل إنه انغرس في لحم البشرية ودمها. لذلك فإن خلاصنا هو خلاص الجسد والروح وقيامتنا هي قيامة للجسد والروح معاً بدون انفصام أو انقسام. لقد قبل الله أن يسمَّر بـالجسد عـارياً على الصليب لـيُـسربـل أجسـادنـا المائتة لبـاس الحياة فنحيا بـالنعمة والبركة. هذا تقوله ذوكصا سَحَر اليوم: «إن الذي لا يُدنى منه بحسب الجوهر حصل مـدنـواً إلـيـه مـنـي واحـتـمـل آلامـاً ليعتقني من الآلام...».

أما المؤشر الليتورجي الثالث فيظهر في كاثسما هذا الأحد التي تقول: «إن العدوّ في الفردوس قديماً عرّى آدم بواسطة العود... أما عود الصليب فانغرس على الأرض آتياً للبشر بلباس الحياة...». تؤكد هذه الـقـطـعـة أن الـفـردوس بـواسـطـة الصـلـيـب انـتـقـل مـكـانـيـاً مـن عدن ليـأخذ مكـانـه الجديد على الأرض. وأن الساكـن في السمـاء الـذي حلّ بيننا، نقل معه السماء وأقامها على الأرض. «إن الكنيسة قد ظهرت الآن فـردوسـاً آخر كـالأول إذ حـوت في وسطها صليبك عوداً حاملاً الحياة، الذي بملامستنا إياه نصبح شركاء في عدم الفساد» (من كطافاسيات الأحد). شجرة معرفة الخير والشر الـتـي كـانت مـغـروسـة في وسـط الـفـردوس، والـتـي بسبب أكل آدم منها دخل الموت إلى العالم، يأخذ صليب المسيح مكانها إذ ينغرس في وسط العالم ليعيد الحياة إلى جنس البشر.

هذه المؤشرات مجتمعة تعني أن صليب المسيح هو علامة الخلاص الـتـي لا تُـقـهـر؛ وأن الجسد الإلـهـي المسـمّـر عـلـيـه حـرّرَ مـن الموت أجسـادنـا الترابـيـة المائـتـة، وأن الملكوت لم يعد مكاناً محجوباً عنا بل أنه صار عندنا وأننا بأجسادنا مقيمون فيه حاملين الحياة التي لا تـفـنـى، لأن خـلاصـنـا قد حصل. بعبارة أبسط لم يعد الصليب صورة للعار أو تعبيراً عن فاجعة تصيب الإنسـان لأن صـلـيـب المسـيـح ربـط الأرض بالسماء وجعل أرضنا سماء جديدة، فأعاد التواصل بين الخالق المتـجسد والخلـيـقـة الـقـادرة على الألـوهـة، وفـتـح الـزمـان المريض المتّجه بـالبشريّة نحو الموت على زمـن الحيـاة الأبـديـة الـقـائـمـة في الحضرة الإلهية الدائمة.

هذا هو الصليب الذي يدعونا المسيـح أن نـحـمـلـه بملء إرادتـنـا، بـــقـــرارنـــا الحرّ. «مَـــن أراد أن يتبعني...» هو يدعو مختاريه ويترك لـهـم كـل الحريـة لـلإسـتـجـابـة أو الرفض. ولكن كيف نتصرف نحن الذين سمعناه يدعونا؟ هل سنقبل

تأمل

لا يكفي أن نرسم إشارة الصليب بالأصابع فقط بل يجب أن يسبق ذلك استعداد القلب والإيمان الحقيقي. فإن رسمت الصليب على وجهك بالصورة المذكورة لا يجسر أحد من الأرواح النجسة أن يدنو منك لدى رؤية ذلك السيف الذي قُهر به، ذلك السلاح الذي جُرح به جرحاً مميتاً. ان المرء يرتعش عند رؤية المقصلة المعدة لإعدام المجرمين. فكم يكون خوف الشياطين عندما يرون ذلك السلاح الذي حطم المسيح به قواهم وقطع رأس الحية؟

لهذا، لا تخجل من عظمة هذه النعمة كي لا يخجلك المسيح عند مجيئه في مجده! إذ تظهر علامة الصليب أمامه وتكون أشد لمعاناً من أشعة الشمس. فظهور علامة الصليب برهان للعالم بأسره وشهادة عن تتميم ما دعوته في قلوبنا، هل سنُحرر قلوبنا ليسود عليها ملكاً مطلقاً؟ هل نُقبل إلى حمل الصليب بفرح وشوق؟ هل نتبعه كما فعل الرسل؟ هل نحيا معه ونسير على دربه فنتعلّم أن نفهم مشيئته؟ صلاتنا أن نسمع ونفهم ونضع أنفسنا بتصرفه في كل وقت وفي كل شيء لأنه اختارنا وصرنا من خاصّته. فلنُقبل إليه فرحين لأننا بصليبه وقيامته ننال الحياة الأبدية.

القديس غريغوريوس الذيالوغوس

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الثاني عشر من شهر آذار للقديس غريغوريوس بابا روميّة، ويرتبط اسمه في طقوسنا بالقدّاس السابق تقديسه ويُعرف بالذيالوغوس أي «المحاور»، وفي الكنيسة الغربية يُلقّب بالكبير.

ولد القديس غريغوريوس عام ٥٤٠ في عائلة نبيلة تبوّأ بعض أفرادها سدّة البابوية. عُيّن والياً على روما، غير أنّه منذ كان شاباً كان يدرس الكتب المقدسة، وقد اعتبر نفسه طائراً في غير سربه بإزاء مسؤولياته المدنيّة. فما أن توفي والده حتى ترك وظيفته ووزّع ثروته على الأديار والمحتاجين واعتزل راهباً في دير أنشأه في قصره على اسم الرسول أندراوس.

لم تدم إقامته في الدير طويلاً لأنّ البابا بيلاجيوس الثاني (٥٧٩–٥٩٠)، الذي كان قد انتُخب للبابوية حديثاً، سمّاه سفيراً له وأوفده إلى القسطنطينية في مهمّة لدى الإمبراطور والبطريرك هناك. بقي القديس غريغوريوس في القسطنطينية ست سنوات وترك في القصر الإمبراطوري انطباعاً طيباً لبساطته وعمله وفضائله. وعند عودته إلى روما اختير رئيساً للدير الذي كان قد أنشأه، فأحبّه رهبانه وعرف أن يهتم بهم في محنهم ويؤمّن حاجاتهم. غير أنّه كان صارماً جداً في حفظ التراث الرهباني.

كان للقديس غريغوريوس غيرة رسولية على الذين لم تصلهم البشارة بالمسيح يسوع المخلّص، فحاول أن يذهب إلى إنكلترا برفقة بعض الرهبان ليكرز بالإنجيل. بعد ثلاثة أيام من انطلاقهم في هذه المهمّة أرسل البابا في طلبه ليكون أمين سرّه فعاد أدراجه دون أن يكمل مهمّته هذه. وبموت البابا سنة ٥٩٠ انتُخب لسدّة رئاسة كنيسة روما رغم احتجاجه وتهرّبه، فخدمها بكلّ تفانٍ وعندما تعرّضت روما للمجاعة اهتمّ بتوزيع المؤن على المحتاجين، وكان كلّ يوم يستقبل إلى مائدته إثني عشر فقيراً، معتبراً نفسه مسؤولاً عن كل جائع.

نظم القديس غريغوريوس الحياة في داره الأسقفيّة على صورة الحياة في الدير، واهتم بالخِدَم الليتورجيّة اهتماماً كبيراً وشجّع إكرام رفات القديسين كما أصلح الترتيل الكنسي. اهتمّ بملاحظة اختيار الأساقفة وتصدّى للسيمونية (أي استخدام المال للحصول على رتب إكليريكية) ولم يسمح لأي من الأساقفة أن يقيم خارج أبرشيته، وعقد مجامع محليّة اهتمّت بمحاربة الهرطقات وإصلاح الأخلاق، وعمل على الحؤول دون تدخّل السلطات المدنيّة في الشؤون الأسقفيّة الكنسيّة، والأساقفة في الشؤون الديرية. كان يطوف على

رعاياه واعظاً في كنائسها، أمّا تلك التي لم يتسنَّ له زيارتها فكان يوفد إليها إكليريكيين ليتلوا على مسمع الشعب رسائل منه. وله مراسلات عديدة في كل العالم المسيحي، ومقالات روحية قيّمة.

أقام القديس غريغوريوس في الخدمة الأسقفية أربعة عشر عاماً لم يتوقف خلالها عن اشتهاء الحياة الرهبانيّة. وقد عانى من الفوضى والفساد الذي شمل الكنيسة يومذاك، لاسيما بتأثير غزوات البربر. عانى من الآلام في آخر حياته، حتى لم يعد له شوق ولا تعزية إلاّ الاستقرار في الراحة الأبدية. وقد رقد بالرب في ١٢ آذار عام ٦٠٤.

تُنسب للقديس غريغوريوس خدمة القداس السابق تقديسه (البروجيازميني) التي تقيمها كنيستنا في فترة الصوم الكبير. هدف هذه الخدمة مناولة المؤمنين، وهي مركّبة من القسم الأول من صلاة الغروب حتى قراءات العهد القديم، ومن القسم الثاني من القداس الإلهي المعتاد، بالإضافة إلى إعلان الكاهن «الحكمة لنستقم. نور المسيح مضيء للجميع»، وبعض التراتيل الخاصة مثل «لتستقم صلاتي كالبخور أمامك، وليكن رفع يديّ ذبيحة مسائية»، و«الآن قوّات السموات يخدمون معنا بحال غير منظور لأنه هوذا ملك المجد يدخل عابراً. ها هي الضحية السريّة تتزيّح مكمَّلة، فلنتقدّم بإيمان وشوق لنصير مشاركي الحياة الأبدية. هللويا»، وهذه ترتّل بدل الشيروبيكون الإعتيادي «أيها الممثّلون الشيروبيم...»، عندما يدور الكاهن بالقدسات من المذبح وصولاً إلى المائدة المقدّسة بينما يسجد المؤمنون إجلالاً.

دخول المؤمن في الصوم هو دخول في البريّة، على مثال دخول شعب الله في البريّة وبقائه فيها أربعين سنة يعلّمه خلالها الرب كيف يمكنه أن يحيا في البريّة التي هي رمز للموت، من خلال حفظه لوصايا الرب وتطبيقه لها، وعلى مثال دخول الرب يسوع في البريّة وصومه أربعين يوماً. هناك لم يستعمل الرب إلاّ كلمات الكتاب المقدس لدحض تجربة الشيطان. والبريّة في الكتاب المقدّس هي حالة يعيشها الإنسان، وهي تقابل الصحراء حيث لا ماء ولا كلأ. إنّها حالة الموت. المؤمن إذاً يدخل إختيارياً في حالة الموت هذه ليؤكّد لنفسه وللرب طبعاً، أنّه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بحفظه لوصايا الله وعيشه على أساسها، وأن حياته هي المسيح وهو يحيا في المسيح جسديًّا من خلال تناوله جسد الرب ودمه، مؤكّداً بذلك أن غذاءه الأساسي هو الرب نفسه. لذلك تأتي لنا خدمة القداس السابق تقديسه بالمناولة الإلهية على صورة إرسال الله المنّ للشعب في البريّة وإرساله لهم الماء أيضاً من الصخرة، أي أن الله يرسل لنا الحياة من حيث لا يُعقل أن تكون حياة البتّة. إنّها إذاً دعوة للمؤمنين للرجوع إلى نبع الحياة الأساسي الذي هو ربّنا يسوع المسيح «الطريق والحق والحياة».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

ينبغي عمله لأجل المسيح.

وهذه العلامة، إن كان فيما مضى، أو في وقتنا الحاضر، تفتح الأبواب الموصدة وتلاشي قوة الأعمال المضرة وتحوّل تأثير السم وتبريء الجراح المميتة الحاصلة من أنياب الوحوش الكاسرة. فكما انها حطمت أبواب الجحيم، وفتحت أبواب السموات، والفردوس ثانية، وهدمت حصن الشياطين، فلا عجب إن تغلبت أيضاً على المواد السامة والوحوش الكاسرة وما شابهها. بناء عليه، أرسمْ علامة الصليب في عقلك، لأن الصليب جدّد العالم كله، وطرد الضلال، وادخل الحقيقة، وجعل الأرض سماء والبشر ملائكة. فما دام الصليب معنا فلا خوف علينا من الشياطين ولا من ضررهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم